يدخلون الجنة بالسلاسل

أيها المسلمون: تميل النفوسُ إلى ما تهوى، وتسعى حثيثاً إلى ما تشتهي.

فالنفوسُ إلى ما تهوى تَوَّاقةٌ، وإلى ما تشتهي سَبَّاقة.

قامَت الدنيا بين الأنام تستعرضُ مفاتِنها، فتَجَلَّت لهم بأحسنِ صُوَرة، وتَعَرَّضَت لهم بأبهى زينة.

فاستدارت حولها الأهواءُ، واشرأبت إليها المطامِعُ، وطافت بها المطالِب، وتَنَافَسَ عليها المفتونون ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

وهذه الدنيا بأكملها. بزينتها ومتاعها، بكنوزها وثرواتها، بقصورِها وخيراتِها، بمآكلها ومشارِبِها، بنسائها وشهواتِها، لو جُمِعَت كلُّها مِنْذُ خَلْقِ اللهِ لها إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومَن عليها، فصارت لإنسانٍ واحد. فهو يتصرفُ فيها كيف يشاء، ويتقلبُ فيها كيف أراد. فإنها لن تُساوي نَعِيمَ لحظةٍ واحدةٍ في الجنة.

عنْ سهل بنِ سعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا عَلَيْها". متفقٌ عَلَيْهِ.

وعن المستورد بن شدادٍ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ما الدنيا في

الآخرةِ إلا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ في الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِع". رواه مسلم.

ولَمَّا كانَ نعيمُ الآخرةِ مُغَيَّبٌ مُؤَجَل، ومتاعُ الدنيا مشاهدٌ مُعَجَّل. آثرت النفوسُ نيلَ الحاضِرِ، وضَعُفَ إيمانُها بالغَيْب، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

فَمَن اصطفاه الله واجتباه. أيقض له ضميرَه، وأحيا له قلبَه، وقَوَّى له إيمانَه. فجعل الآخرةَ هي غايَتُه ومبتغاه، ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.

وقد ينحرفُ العبدُ عن سبيل فوزِه ونجاتِه. فَيُقَيِّضُ اللهُ له سبباً يقودُه به إليه، وَمِن عَجِيْبِ ما صَحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ما رواه أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ".

عَجِبَ الله منهم. أن قادهم إلى أسبابِ دخولِ الجنةِ، وقد كانوا لتلك الأسبابِ كارهين.

قال ابن الجوزي رحمه الله: (معناه: أنهم أُسِرُوا لدى المسلمين وَقُيِّدُوا بالسلاسِلِ، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا فيه طائعينَ فدخلوا الجنةَ،

فكان الإكراه على الأسر والتقييد. هو السبب الأولُ لدخولِهِمُ في الإسلامِ ثم الجنة).

عباد الله: وفي مَشْهَدٍ من مَشَاهِدِ السيرةِ. يتجلى هذا المعنى. عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: "بَعَثَ النبيّ صلى الله عليه وسلم خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المِسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النبيّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ : أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المِسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المِسْجِدَ، فَقَالَ: (أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ:

صَبَوْت؟ أي انحرفت وضللت ـ قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلاَ وَاللَّهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النبيّ صلى الله عليه وسلم".

لقد كَرِهُ ثمامةُ أنْ وَقَعَ في الأسرِ مُقَيَّداً بالسلاسلِ إلى ساريةٍ من سواري المسجد، وهو الذي كان في قومِه سيداً مُطاعاً.

ولكن الله قادَه بالقيدِ إليه، وسار به في الأسرِ ليَمُنَّ عليه. تلك حادثةٌ واحدةٌ من الحوادِثِ الكثيرةِ التي دونها التاريخُ لفئامٍ من الكافرين.

سيقوا بالسلاسلِ مأسورين، ثم شرح الله صدورهم للإسلام بعدما فهموه، ولولا الأسرُ لربما بقوا في الكفرِ لم يبرحوه.

عباد الله: والإعلامُ اليوم. يروي لنا وينقل حادثةً طار خبرُها في الآفاق. عجوزٌ تجاوزتِ السبعين من عمرها. خَرَجَت من دولةٍ نصرانيةٍ أوربيةٍ.. لتعملَ في مجالِ الإغاثة والتنصيرِ في دولةٍ مسلمةٍ أفريقية. تُقَدّمُ المساعدةَ للفقراءِ بيدٍ، وبيدها الأخرى تُقَدِّمُ لهم الإنجيل. وقعت في الأسرِ. فمَكَثَت فيه أربعَ سنين. افتدتها دولتُها بثمن باهظٍ ٢٠ مليون يورو فأُطْلِق سراحُها. فلما وطئت قدماها أرض وطنها. قامت أمام العالَمِ عبر وسائلِ الإعلامِ.

فقالت: إنني اليومَ لم أعُدْ نصرانيةً إنني على دينِ الإسلامِ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله. دَخَلَتِ الإسلامَ على يَدِ آسِرِيها،

ساق الله لها الهدايةِ بالسلاسلِ والقيود ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

بارك الله لي ولكم.

****

الخطبة الثانية

الحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً رسولُ رب العالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله: وكونوا له من الشاكرين.

أيها المسلمون: وقد ينحرف العبدُ ويَضِلّ، وتستهويه الشياطين وتغويه، فَيَسِيرُ خلف الهوى، ويتقلبُ في الموبقات. فلا يزجُرُهُ عن الهوى زاجر، ولا يردَعُهُ الغوايةِ رادِع. لا الوعظُ له يُجْدي، ولا الآياتُ عنه تُغني.

فيسوقُ الله له شيئاً من المصائبِ لعله يتبصَّرُ أو يُفِيق، وينزلُ به شيئاً من البلاءِ لعله يتدارك أو يستعتب.

يُنزِل به فقراً أو جائحةً أو مَرَضاً أو فقدَ حبيبٍ أو حلولَ جائحةٍ أو غيرَ ذلك. فإن أراد الله به خيراً. أيقظه من غفلتِه وهداه إلى رُشدِه، وإن لم يُرِد به خيراً. أغلقَ عن قَلْبِهِ إبصارَ الآياتِ. وطمسَ عنه إدراكَ النُّذر.

فيوافيَه الأجلُ وهو على الضلالةِ مقيمٌ، وعلى الآثامِ مُصِرٌّ وعن الهدايةِ مُعرِض. وقد يمهلُ الله عبدَه المسيءُ الآبقُ. فلا يُصِيْبُه بِشِدَّةٍ ولا يُنْزِلُ به ألَم. وإنما يَذَرُهُ يتقلبُ في النِّعَمِ، ليبتليه ببلاءِ النِعمةِ والسراءِ. لعلَه يكونُ لله من الشاكرين. فإن شَكَرَ فقد أفلحْ.

وإن أعرضَ فقد آذنه الله بالوعيد. وأكرمُ العبادِ على الله. عبدٌ أقبل إليه. وهو في تمامٍ من الصحةِ، ورَغَدٍ من العيشِ، ووفرةٍ من العافية يتقربُ إلى الله بعملِ ما يُرضِيْه، والكَفِّ عن سخَطِهِ ومعاصِيه يُسارِع إلى كلُ حَسَنةٍ، ويسابق إلى كل صالحةٍ. ولا تحمِلُه إلى الآثامِ قَدَم. جاءَ رجلٌ إِلَى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رسولَ اللَّهِ، أيُّ الصَّدقةِ أعْظمُ أجْراً؟ قَالَ: (أنْ تَصَدَّقَ وأنْت صحيحٌ شَحيحٌ تَخْشى الْفقرَ، وتأْمُلُ الْغنى. الحديث).

أيها المسلمون: وفي كُل قَدَرٍ يُقَدِّرُه اللهُ، وفي كُلِّ قَضَاءٍ يَقْضِيْه. فإن له فيه حكمةٌ بالغةٌ، وله فيه على العبادِ نِعمةٌ خَفِيَّةٌ أو ظاهرة، فاستقبلْ قضاءَ الله في كُلِ أحوالِكَ بقلبٍ راضٍ ونفسٍ مطمئنة. واسْتَبْصِرْ حِكْمَةَ الله وثق بِه وتوكل عليه.

فقَدْ يُنْعِمُ اللهُ بالبلوى وإنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ القومِ بِالنِّعَمِ

أفِقْ وأقبلْ. وأحسن وِفَادَتِكَ على رَبِّك. ولا تنتظر سبباً تقادُ به إلى ربِكَ قهراً فقد يكون المنونُ أعجَل.

اللهم أحسن منقلبنا، واختم بالصالحات أعمالنا، وخذ بنواصينا إلى البر والتقوى.